الفضيل بن عياض

أعـلام التصـوف

الفضيل بن عياض

الخشية من الله والبكاء يلازمانه، لا يُرى إلا وعيناه تفيض من الدمع، كلما ذكر اسم الله تعالى عنده ظهر عليه الخوف والوجل، وارتعشت كل أعضاء جسده، ترى من يكون هذا الرجل الذي غمر الإيمان قلبه؟ !

كان عاصيًا فتاب الله عليه، وجعله من عباده المؤمنين، تحول من قاطع طريق يُرَوِّع الآمنين إلى عابد زاهد، وكان سبب توبته؛ أنه كان يتسلق جدران أحد المنازل بالليل؛ فسمع صوتًا يتلو قوله تعالي: {ے ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ} [الحديد: ١٦]، فلما سمعها قال: بلي يا رب، قد آن.

فرجع فمرَّ على أرض خربة، فوجد بها قومًا، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: ننتظر حتى نصبح، فإن الفضيل يقطع علينا الطريق، قال- أي-: الفضيل: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني!! وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع أي أن الله قَدَّر لي أن آتي إلى هذا المكان لأتوب وأرجع إليه) اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.. لقد جعل مظاهر توبته مجاورته لبيت الله حيث الرحمة والبركة، يدعو الله ويستغفره، ويندم على ما فرط في حقه.

في أرض خراسان ولد الفضيل بن عياض ثم رحل إلى الكوفة في العراق، فسمع الأحاديث النبوية الشريفة والفقه من العلماء؛ أمثال الأعمش ويحيى بن سعيد الأنصاري وجعفر الصادق فأثرت تأثيرًا كبيرًا في شخصيته، حتى أصبح من الزهاد الذين يرون أن الدنيا لا

تساوي عند الله جناح بعوضة، ولا تستحق أن يتكالب الناس عليها، ويتصارعون من أجلها، فهي فانية زائلة، بل الأولى أن يعمل الناس لأخراهم، فهي الباقية الدائمة بفعل الخير، وتجنب المعاصي، ثم انتقل إلى مكة وأقام بها حتى توفي.

إنه هو الفضيل بن عياض بن سعود بن بشر أبو علي التميمي. شيخ الإسلام والإمام القدوة، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي رضي الله عنه. وممن روى عنه شيخه سفيان الثوري أجل شيوخه. وترجمته زاخرة بالحديث عن زهادته وعبادته وتأثير مواعظه في القلوب.

وكان إذا خرج في جنازة مع الناس، يعظهم وَيُذَكِّرهم بالآخرة، حتى إذا وصل إلى المقبرة، جلس في حزن شديد، وظل يبكي ولا ينقطع بكاؤه، سأله الخليفة هارون الرشيد ما هي صفات المؤمن أيها الزاهد؟ فقال له الفضيل: صفات المؤمن؛ صبر كثير، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

ومرَّ الفضيل بن عياض على جماعة أغنياء، فوجدهم يلعبون ويشربون ويلهون؛ فقال لهم بصوت عال: إن مفتاح الخير كله هو الزهد في الدنيا، وقد سأله أحدهم: وما الزهد في الدنيا؟ فقال: القناعة والرضا وهما الغنى الحقيقي، فليس الغنى في كثرة المال والعيال، إنما الغنى غنى النفس بالقناعة والرضا في الدنيا، حتى نفوز في الآخرة، ثم توجه إلى الله داعيًا: اللهم زهدنا في الدنيا، فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجميع طلباتنا ونجاح حاجتنا.

وحجَّ هارون الرشيد ذات مرة؛ فسأل أحد أصحابه أن يدله على رجل يسأله؛ فدله على الفضيل، فذهبا إليه، فقابلهما الفضيل وقال للرشيد: إن عمر بن عبد العزيز لما ولِّي الخلافة دعا أناسًا من الصالحين فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء- يعنى الحُكم- فأشيروا علي.. فعدَّ عمر الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فبكى الرشيد، فقال له صاحب الرشيد: ارفق بأمير المؤمنين، فقال الفضيل: تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟ يقصد أن عدم نصحه كقتله فقال له الرشيد: زدني يرحمك الله..

فأخذ يعظه وينصحه، ثم قال له: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال::**ما من والٍ يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة** (متفق عليه) فبكي هارون وقال له: أعليك دين أقضيه عنك؟ فقال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني، فالويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد قال: إن ربي لم يأمرني بهذا؛ أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال الرشيد: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال الفضيل: سبحان الله، أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلَّمك الله ووفَّقك، ثم صمت فلم يكلمنا؛ فخرج الرشيد وصاحبه، وكان الفضيل شديد التواضع، يشعر دائمًا بأنه مقصر في حق الله، رغم كثرة صلاته وعبادته.

وتمضي الأيام، ويتقدم السن بالفضيل بن عياض وذات مرة كان بعض الناس جلوسًا عنده، فقالوا له: كم سنك؟ فقال:

بلغتُ الثَّمانين أوجُزْتهَا : فَمَاذا أُؤمِّلُ أَو أَنْتَظِرْ
عَلَتْني السِّنُون فأبْلَيْنَني : فَدَقَّ العِظَامُ وَكَلَّ البَصَرْ

ومرض الفضيل، فسُمِع يقول: ارحمني بحبي إياك، فليس شيء أحب إلي منك، وأقام الزاهد العابد الفضيل بن عياض بـ (مكة) حتى توفي عام 187هـ وأطلق عليه هناك شيخ الحرم المكي.

قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من بحضرته، وكان دائم الحزن شديد الفكرة ما رأيت يريد الله بعلمه وأخذه وإعطائه، ومنعه وبذله، وبغضبه وحبه، وخصاله كلها غيره - يعني الفضيل.

روي عن إبراهيم بن الأشعث قوله كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويكر ويبكي، حتى لكأنه يودع أصحابه، ذاهباً إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر فيجلس، فكأنه بين الموتى، جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم، ولكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

مواقف من حياة الفضيل:

لو طابت لأولئك لطابت لي:

حدث سفيان بن عُيَيْنَةَ قال: دعانا الرشيد، فدخلنا عليه ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه، فقال لي: يا سفيان، أيهم أمير

المؤمنين؟ فقلت: هذا، وأومأت إلى الرشيد، فقال له: أنت يا حَسَنَ الوجه، الذي أمر هذه الأمة في يدك وعنقك، لقد تَقَلَّدْتَ أمراً عظيماً، فبكى الرشيد، ثم أتى كل رجل منا ببدرة، فكلٌ قبلها إلا الفضيل، فقال له الرشيد: يا أبا علي، إن لم تستحلها فأعطها ذا دين، وأشبع بها جائعاً واكْس بها عرياناً، فاستعفى منها، فلما خرجنا قلت له: يا أبا علي، أخطأت، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر، فأخذ بلحيتي ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت لأولئك لطابت لي.

أنت هو يا حسن الوجه؟

قال الرشيد لسفيان بن عيينة: إني عزمت أن أرى الفضيل بن عياض، فقال له سفيان: يا أمير المؤمنين، إنه رجل قد زهد في الناس والدنيا جميعاً، وأخاف أن تأتيه فتستجفيه، فقال له: كلا ما عزمت على إتيانه حتى وطنت نفسي على احتمال ما يكون منه؛ يا سفيان، إن عز القوي عز لا يزحمه منكباً إمرة ولا خلافة. قال: فأتيت فضيلاً بما قال: فقال: ما أعقله لولا أنه يحب العاجل، ثم قال: إني لأحب أن يأتيني وأكره أن يأتيني، فأما محبتي لمجيئه فلعلي أعظه بموعظة ينتفع بها هؤلاء الناس، وأما كراهيتي لمجيئه فلأني أراه يرفل في النعم عارياً من الشكر. قال: ثم أذن، فمضيت مع الرشيد إليه، وقد اختلط الظلام، وعلى الرشيد طيلسان غسيل قد غطى به رأسه، فلما هجمنا عليه في بيته وشم الرائحة سمعته يقول: اللهم إني أسألك رائحة الخلد التي أعددتها لأوليائك المتقين، فرفع طرفه إليه وعينه تقطر فقال: أنت هو يا حسن الوجه؟ ثم وعظه فجعل يبكي حتى اشتد نشيجه، ثم قال له: ازدد من هذا، فما أعرف في هذه الليلة أحداً أحوج

إليه منك، ثم وثب إلى صلاته، وما كان ذاك إلا كخطفة الطير. فلما صرنا إلى صحن الدار قال لي الرشيد: يا سفيان، ما رأيت التقوى في وجه أحد قط أبين منها في وجه هذا الشيخ، ولولا التحشم منك لقبَّلت ما بين عينيه، فقلت له: والله لعل ودي أن تكون فعلت ذلك، فكتب الله لك ثوابه وأجره، فقال: إني أرجو أن يكون قد كتب لي ثوابه بالنية ولو لم أفعل. انظر - فديتك - إلى هذا الحديث، وانظر إلى زمانك وإمامك وسلطانك، فإنك ترى فرقاً يوحش القلب، ويورث الأسف، ولله أمر هو بالغه لا نعترض عليه، ولا ننازع فيه، ولكن نلجأ إلى كنفه، ونسأله زيادة من عطفه، فإنه رحيم بعباده ودود.

لكني سمعت قوله:{يعرف المجرمون بسيماهم}:

كان الفضيل يعظ ابنه كثيراً على الزّهد ويقول: يا بُنيّ، ارفق بنفسك؛ وكان يوماً خلف الإمام يصلّي فسمع سورة الرحمن، فظلّ يتلوّى وأبوه ينادي: أما سمعت قوله:{ثثٮٮٯ} [الرحمن: ٧٢]، فقال: يا أبت، لكني سمعت قوله:{ٱٻٻ} [الرحمن: ٤١].

لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن:

قال سعد بن زنبور: كنا على باب الفضيل بن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صيتاً فقلنا له: اقرأ فقرأ:{ژڑڑ} [التكاثر: ١]، ورفع بها صوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جزتها :: فماذا أؤمل أو أنتظر؟

آتـاني ثمـانون مـن مولـدي : وبعـد الثمـانين مـا ينتظـر؟
::
:
علتني السنون فأبلينني

قال: ثم خنقته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر.

لو كانت الدنيا ذهباً يفنى:

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: لو كانت الدنيا ذهباً يفنى، وكانت الآخرة خزفاً يبقى، لوجب أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ تأمل بعقلك هل آتاك الله تعالى من الدنيا ما آتى سليمان بن داود عليهما السلام، حيث آتاه ملك جميع الدنيا والإنس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم زاده الله تعالى ما هو خير منها فقال له تعالى: {ئۇئۇئۆئۆئۈئۈئې} [ص: ٣٩]. فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل قال عند ذلك: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. وهذا فصل الخطاب لمن تدبره أن يقول له ربه في معرض المنة: {ئۇئۇئۆئۆئۈئۈئې} [ص: ٣٩]. ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم. هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا: {پپپپپپپپ} [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، وقال: {ڃڃڃڃڃڃڃڃڃڃ} [الأنبياء: ٤٧].

يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحاسب وحدك:

لما دخل ابن السماك على هارون قال له: عظني. فقال: يا أمير

المؤمنين إن الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك، فلا ترض من نفسك إلا ما رضي به عنك، فإنك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بذلك. يا أمير المؤمنين من طلب فكاك رقبته في مهلة من أجله كان خليقاً أن يعتق نفسه. يا أمير المؤمنين من أذاقته الدنيا حلاوتها بركون منه إليها، أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها. يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض، وقد دعيت إليها وليس لك فيها نصيب. يا أمير المؤمنين إنك تموت وحدك وتحاسب وحدك، وإنك لا تقدم إلا على حالة نادم مشغول، ولا تخلف إلا مفتوناً مغروراً، وإنك وإيانا لفي دار سفر وجيران ظعن.

إن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من قبلك:

لما حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبا حازم فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال: بم أتكلم؟ فقال: في الخروج من هذا الأمر. قال: يسيران أنت فعلته. قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلا من حلها ولا تضعها إلا في أهلها. قال: ومن يقوى على ذاك؟ قال: من قلده الله من الأمر ما قلدك. قال: عظني يا أبا حازم. قال: يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لم يصر إليك إلا بموت من قبلك، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك. ثم قال: يا أمير المؤمنين نزه ربك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. يا أمير المؤمنين إنما أنت سوق فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر، فاختر لنفسك أيهما شئت.

قال: فما لك لا تأتينا؟ قال: وما أصنع بإتيانك؟ إن أدنيتني فتنتني،

وإن أقصيتني أحزنتني، وليس عندي ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له. قال: فارفع إلي حوائجك. قال: قد رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها، فما أعطاني منها قبلت، وما منعني منها رضيت، يقول الله عز وجل: {ۇۇووۇۇې} [الزخرف: ٣٢]. فمن ذا الذي يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله، أو يزيد في قليل ما قسم الله؟ قال: فبكى سليمان بكاء شديداً فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى أمير المؤمنين! فقال له أبو حازم: اسكت! فإن الله تعالى أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. ثم خرج من عنده فلما وصل إلى منزله بعث إليه بمال فرده وقال للرسول: قل له يا أمير المؤمنين، والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسي؟

فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد؟

قال الفضيل: جور ستين سنة خير من هرج ساعة، فلا يتمنى زوال السلطان إلا جاهل مغرور أو فاسق يتمنى كل محذور، فحقيق على كل رعية أن ترغب إلى الله تعالى في إصلاح السلطان، وأن تبذل له نصحها وتخصه بصالح دعائها، فإن في صلاحه صلاح العباد والبلاد، وفي فساده فساد العباد والبلاد.

تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا

قال الفضيل: لو ظفرت ببيت المال لأخذت من حلاله وصنعت منه طيب الطعام، ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الأبرار والأخيار، فإذا فرغوا قلت لهم: تعالوا ندعوا ربنا أن يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل إليه أمرنا.

من يحسن هذا غيرك؟

قال الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة لما أجعلها إلا

فـي الإمـام، لأنـه إذا صـلح أخصـبت الـبلاد وأمـن العبـاد. فَقَبَّـل ابـن المبارك رأسه وقال: من يحسن هذا غيرك؟

أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك

لمـا حـج الرشـيد دخـل علـى الفضـيل فوعظـه بمـا وعظـه، وأراد الخـروج فقـال: يـا فضـيل هـل عليـك ديـن؟ فقـال: نعـم ديـن ربـي لـو يحاسبني عليه، فالويل لـي إن حاسبني عليه، والويل لـي إن ناقشني. فقـال الرشـيد: إنـي أسـألك عن دين العبـاد. فقـال: عنـدنا بحمـد الله خيـر كثيـر لا نحتـاج معـه إلـى مـا فـي أيـدي النـاس. قـال: هـذه ألـف دينـار فاستعن بها. فقال: يا حسن الوجه أدلك علـى النجـاة وتكـافئني بـالهلاك، أسأل الله التوفيق! فلما خرج عاتبته بنيته فقالت: لو أخذتها فاستعنا بها. فقـال: إن مثلـي ومـثلكم مثـل قـوم كـان لهـم بعيـر يكدونـه ويـأكلون مـن كسبه، فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه.

تقتله أنت وأصحابك، وارفق به أنا؟

قال الفضل بن الربيـع: حـج هـارون الرشـيد، فأتـاني فخرجـت إليـه مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك، فقـال: ويحـك قـد حل فـي نفسـي شـيء فـانظر لـي رجـلاً أسـأله، فقلـت: هاهنـا سـفيان بـن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتينـاه فقرعنـا البـاب فقـال: مـن ذا؟ فقلـت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لـو أرسـلت إلي أتيتك، قال: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحدثـه سـاعة ثـم قـال لـه: عليك دين؟ قال: نعم، قال: يا عباسي اقض دينه، فلما خرجنـا، قـال: مـا أغنـى عنـك صـاحبك شـيئاً، انظـر لـي رجـلاً أسـأله، قلـت: هاهنـا عبـد الرزاق بن همام، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فكانت حالـه كحـال سفيان ابن عيينة، فقلت لـه: هاهنـا الفضـيل بـن عيـاض، قـال: امض بنـا إليـه،

فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها، فقرعت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، قال: مالي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعة لبشر؟ فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول البيت عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون الرشيد إليه قبلي فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله! فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام من قلب نقي فقال له: خذ لما جئناك له يرحمك الله، فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي، فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن إفطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم أخاً، وأصغرهم ولداً، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك أو اكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت فإني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام. فهل معك مثل هذا، أو من يشير عليك بمثل هذا؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشي عليه، فقلت: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه كثرة النوم فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإنه يطرد بك إلى ربك نائماً أو يقظان، وإياك أن

ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، ولا أعود لولاية حتى ألقى الله تعالى، قال: فبكى هارون بكاءً شديد، ثم قال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل، فبكى هارون بكاء شديداً، وقال له: زدني رحمك الله، قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فان استطعت أن تقي هذا الوجه فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد، قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال: {ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﷼} [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادتك، فقال له: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال هارون: يا عباسي إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، فهذا سيد المسلمين()فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به، فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل

قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف يرحمك الله، فانصرفنا.

تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي:

جاء أبو محمد السمرقندي إلى الفضيل ومعه أولاد البرامكة، وعليهم قمص لها جربانات عراض، فسألوه أن يحدثهم فامتنع فقام مغضباً فقال الفضيل: ردوه. فردوه فقال: بلغنا أن عيسى صلوات الله عليه قال تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالتباعد عنهم، والتمسوا رضاه بسخطهم. فقيل: يا روح الله فمن نجالس؟ فقالوا: من تذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه وترغبكم في الآخرة مجالسته.. قم فقد حدثتك.

ما هم بمجاورين

قال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة وأعمال الآخرة، ولم توضع للتجارة ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون: نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه الله ولا يكسب فيها ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إلي من أن تكون مقيماً بمكة وتحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها.

اصبروا، فإنما هي الليلة

قال الفضيل بن عياض، قال إبراهيم التيمي: لما حبست الحبسة المشهورة، أدخلت السجن، فأنزلت على أناس في قيد واحد، ومكان ضيق، لا يجد الرجل إلا موضع مجلسه، وفيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون.

قال: فجيء برجل من أهل البحرين، فأدخل علينا، فلم نجد مكاناً، فجعلوا يتبرمون به، فقال: اصبروا، فإنما هي الليلة.

فلما دخل الليل، قام يصلي، فقال: يا رب، مننت علي بدينك، وعلمتني كتابك، ثم سلطت علي شر خلقك، يا رب، الليلة، الليلة، لا أصبح فيه.

فما أصبحنا حتى ضربت أبواب السجن: أين البحراني، أين البحراني؟ فقال كل منا: ما دعي الساعة، إلا ليقتل، فخلي سبيله.

فجاء، فقام على باب السجن، فسلم علينا، وقال: أطيعوا الله لا يضيعكم.

ما أنا بمسكين، ولا فقير:

عن الفضيل بن عياض، قال: حدثني رجل: أن رجلاً خرج بغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين، كل واحد منهما آخذ برأس صاحبه.

فقال: ما هذا؟ فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب ليبيعها، فكسدت عليه، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت.

فقال له: إن معك شيئاً قد كسد، ومعي شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه.

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي فأصلحي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة، قد خرجت من جوفها.

فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحارلبه.

فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة.

فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤة.

قال: لا، ولكني أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ، إلى صديق له جوهري، فسلم عليه، فرد عليه السلام، وجلس إلى جانبه يتحدث، وأخرج تلك البيضة.

وقال: انظر كم قيمة هذه؟ قال: فنظر زماناً طويلاً، ثم قال: لك بها علي أربعون ألفاً، فإن شئت أقبضتك المال الساعة، وإن طلبت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فنظر إليها واستحسنها، وقال: لك بها علي ثمانون ألفاً، وإن شئت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإني أراه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فقال: لك بها علي مائة وعشرون ألفاً، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً.

فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بدرة، في كل بدرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله، ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب، يسأل.

فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، أدخل، فدخل الرجل.

فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير، ست بدر، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه.

وقال: ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل، الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً، فهذا الذي أعطاك، قيراط منه، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً.

إذا كانت الأئمة ظالمة

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: إن الله تعالى يهلك الرعية وإن كانت هادية مهدية إذا كانت الأئمة ظالمة لأن أعمال الأئمة تعلو أعمال الرعية.

فبأي شيءٍ تسوس رعيتك؟

قيل: طاف الرشيد بالبيت فوطئ جرادةً، فلم يدر ما عليه فيها، فبعث بالمأمون إلى الفضيل بن عياض فسلم عليه وقال: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: لنا إليك حاجةٌ، فأحب أن تعبر إلينا. فلم يجب الفضيل بشيء، فرجع المأمون وقال: رأيت رجلاً ليست به إليك حاجةٌ، فقام الرشيد مغضباً حتى خيف على الفضيل منه؛ فوقف وسلم عليه، فوسع الفضيل له ورد عليه السلام. فلما جلس

أقبل على الفضيل فقال: رحمك الله، قد كان الواجب أن تأتينا وتعرف حقنا إذ ولانا الله أموركم فصيرنا الحكام في دمائكم، والذابين عن حريمكم، وإذ لم تأتنا فقد أتيناك؛ إني وطئت الآن في الطواف على جنديةٍ فما ديتها؟ قال: فبكى الفضيل بكاءً شديداً حتى علا صوته وقال: إذا كان الراعي يسأل عن الغنم هلكت الغنم، وإنما يجب على الراعي أن يرتاد لغنمه المرعى، وجيد الكلأ، وعذب الماء، فإذا كنت يا أمير المؤمنين تسألني عن معالم الدين فبأي شيءٍ تسوس رعيتك؟ قال: فخجل الرشيد حتى عرق وانصرف.

لم أعنك رحمك الله:

وعن عبد الله الهروي قال: كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قيس فقال: لو أن رجلا صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لاهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى: لم أعنك رحمك الله فسكن.

وما للعالم وما للأمير

حدثنا عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ما أقبح بالعالم يؤتى الى منزله فيقال أين العالم فيقال عند الأمير أين العالم فيقال عند القاضي ما للعالم وما للقاضي وما للعالم وما للأمير ينبغي للعالم أن يكون في مسجده يقرأ في مصحفه.

فما عوضك؟

كان لبعض الملوك نديم فسكر ففاتته الصلاة فجاءت جارية له بجمرة نار فوضعتها على رجله فانتبه مذعوراً فقالت: إنك لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة وقعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل وابن عيينة فإذا تحت رأسه

لبنة وليس تحت جنبه حصير فقالا له: إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه خيراً منه فما عوضك؟ قال: القناعة والرضا بما أنا فيه.

انطلقوا حتى أريكم الدنيا:

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجئ بهم إلى المزبلة فيقول: انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون.

ما جاء بك؟

كان الفضيل جالساً وحده في المسجد فجاء إليه أخ له فقال: ما جاء بك؟ قال: المؤانسة قال: هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك.

لو علم الملوك وأبناء الملوك:

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجليه في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا.

من كلام الفضيل:

أوحى الله إلى الجبال أني مكلم على واحد منكم نبياً فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله عليه موسى لتواضعه.

- إن الفاحشة لتشيع في كثير من المسلمين حتى إذا صارت إلى الصالحين كانوا لها خزانا.

- الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

- ما عملت ذنباً إلا وجدته في خلق زوجتي ودابتي.

- وقال لرجل: كم أتى عليك؟ قال: ستون سنة. قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون!! فمن علم أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف، فليعلم أنه مسئول، فليعد للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة. قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك فيما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقى، أخذت بما مضى وما بقى والأعمال بالخواتيم.

- حامل القرآن حامل راية الإسلام لا ينبغي له أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن.

- يقول: إني لأعصي اللهَ؛ فأعرف ذلك في خلقِ دابَّتي وجاريتي!

- رحمه الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا.

- لَقلْعُ الجبال بالإبر أهون من قلع رئاسة قد ثبتت في القلوب.

- أدركت السلف يقولون إن لله في كل شي ء زكاة وزكاة العقل طول الحزن.

- وقال الفضيل: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير.

- عن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل عن التواضع قال:

التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه.

- عن إبراهيم بن الأشعث سمعت الفضيل يقول: قال الله عز وجل: يا ابن آدم إذا كنت تتقلب في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فاحذرني لا أصرعك بين معاصيك، يا بن آدم اتقني ونم حيث شئت.

- قال إيضاً: ينبغي لحامل القرآن أن لا تكون له حاجة إلى أحد من الناس، إلى الخليفة فمن دونُ، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه.

- هذا زمان احفظ لسانك، واخف مكانك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر

- كفى بالله محبوباً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً.

- إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجي ء إلي من يشغلني عن ربي.

- ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما،

- إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك.

- ما من ليلة اختلط ظلامها وأرخى سربال ستره إلا نادى الخليل جل جلاله من بطنان عرشه أنا الجواد ومن مثلي يجود على الخلائق وهم عاصون وأنا لهم مراقب أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوا

وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم أجود على العاصين وأتفضل على المسيئين من ذا الذي دعاني فلم أستجب له؟ من ذا الذي سألني فلم أعطه؟ من ذا الذي أناخ ببابي فطردته؟ أنا المتفضل ومني الفضل وأنا الجواد ومني الجود وأنا الكريم ومني الكرم وقيل معنى الكريم أنه إذا أذنب عبد غفر لكل من فعل ذلك الذنب وغفر لمن اسمه على اسم ذلك العبد.

- من أقام نفسه في ذل في الحلال حضره الله مع الصديقين ورفعه إلى الشهداء يوم القيامة.

- كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون.

- روي لي أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك.

- ألا ترون كيف يزوي الله سبحانه الدنيا عمن يحب؟ ويمررها عليهم مرة بالجوع، ومرة بالعري، ومرة بالحاجة، كما تصنع الأم الشفيقة بولدها تقمطه بالصبر مرة، وبالحضض مرة، وإنما تريد صلاحه.

- حدث عبد الرحمن بن عفان قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: في جهنم أرحية تطحن العلماء طحنا فقيل: من هؤلاء؟ قال: قوم علموا فلم يعملوا.

- حدث إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول إذا خالطت فخالط حسن الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى خير وصاحبه منه في راحة ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه

منه في عناء ولأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قاريء سيء الخلق إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه وإن العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه.

- وقال إيضاً: من طلب أخا بلا عيب بقي بلا أخ

- لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم وشحوا على دينهم وأعزوا هذا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله إذن لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس فكانوا لهم تبعاً، ولكنهم ابتذلوا أنفسهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهانوا وذلوا، ووجدوا لغامز فيهم مغمزاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أعظم بها مصيبة.

- قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك فقال: إن الله أحب أمراً، فأحببت ما أحب الله.

- وسئل الفضيل رحمه الله عن قراءة القرآن بألحان، فقال: إنما أخذ هذا من الغناء قوم اشتهوا الغناء فاستحبوا فحولوا نصب الغناء على القرآن، وعسى أن يقرأ رجل ليس له صوت فلا يعجبهم وهو خير من صاحب الصوت؛ ويقرأ الآخر فيعجبهم صوته فيقولون: ما أحسن قرآنه! ولعله لا يجاوز قرآنه حنجرته.

- وقال أيضاً: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه. وقال: " نظر المؤمن إلى المؤمن جلاء للقلب، ونظر المؤمن لصاحب البدعة يورث العمى ". وقال: إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر. وقال: لا يرفع لصاحب بدعة

عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

- من مقت نفسه في الله أَمنه الله من مقته.

- وعن فيض بن اسحق قال: كنت عند الفضيل بن عياضٍ رضي الله عنه إذ جاءه رجلٌ فسأله حاجةً فألح بالسؤال عليه، فقلت له: لا تؤذ الشيخ. فقال لي الفضيل: اسكت يافيض، أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمةٌ من الله عليكم، فاحذروا أن تملّوا النعم فتتحوّل. ألا تحمد ربّك أن جعلك موضعاً تسأل، ولم يجعلك موضعاً تسأل؟ !

- من دعاء الفضيل بن عياض رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الغنى في الدنيا، وأعوذ بك من الرغبة فيها، وأسألك الزهد في الدنيا، وأعوذ بك من الفقر فيها.

- وقال أيضاً: كان العُلَمَاء رَبيعَ الناس إذا رآهم المَريضُ لم يسرّه أن يكون صَحيحاً وإذا نظر إليهم الفقير لم يَودَّ أن يكون غنياً " وقد صاروا اليومَ فتنة للناس ".

- استَخيروا الله ولا تتخيروا عليه فرُبما اختار العبدُ أمرًا هلاَكُه فيه.

- وكان يقول: إلهي لو عَذَبتَني بالنار لم يَخْرُج حُبُّك من قَلبي ولم أنسَ أياديكَ عندي في دار الدنيا وقال عبد الله بنُ مسعود: اللهم وَسِّع علي في الدنيا وزَهِّدني فيها ولا تُزْوِها عَني وتُرَغبني فيها.

- وقال: شر العلماء من يجالس الأمراء وخير الأمراء من يجالس العلماء.

- وقال: من علامة الشقاء جمود العين وقساوة القلب وطول

الأمل.

- وكان يقول: حقيق على من كان الموت موعده والقيامة مورده والوقوف والحساب مشهده أن يطول حزنه وبكاؤه.

- وقال الفضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: ما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخاً في الله قال: فقلت له: لا يهيدنك هذا فقد خبثت السرائر، وتنكرت الظواهر، وفني ميراث النبوة، وفقد ما كان عليه أهل الفتوة.

- لو عرضت علي الدنيا بحذافيرها حلالاً أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال: جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

- ومن كلام الفضيل بن عياض: يا ابن آدم إنّما يفضلك الغني بيومك، أمسى قد خلا وغد لم يأت، فإن صبرت يومك أحمد أمرك، وقويت على غدك، وإن عجزت عن يومك ذممت أمرك وضعفت عن غدك. وإنّ الصبر يورث البرء، وإنّ الجزع يورث السقم، وبالسقم يكون الموت وبالبرء تكون الحياة.

- لا يستريح قلبك حتى يترك كل الدنيا.

- لو شممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني. وأثنى على زاهد فقال: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي لأبغضتني.

- كان الفضيل رضي الله عنه إذا أرسل غلامه ليشتري له شيئاً فرجع إليه فقال: وجدته غالياً، قال: الحمد لله إذا غلا علينا شيء تركناه.

- وذكر الزهد عند الفضيل فقال: هو حرفان في كتاب الله تعالى: {ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖ} [الحديد: ٢٣].

- وقال أيضاً: ثلاثة لا يلامون على الغضب: المريض والصائم والمسافر.

- لو أن رجلاً أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

- لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق. فإن قيل: أليس قد روى أن عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام التقيا فقال يحيى لعيسى: تلقاني ضاحكاً كأنك آمن؟ فقال عيسى: وأنت تلقاني عابساً كأنك آيس؟ فأوحى الله تعالى إليهما إن أحبكما إلي أبشكما لصاحبه. قلنا: كذلك يستحب أن يكون المؤمن وليست طلاقة الوجه والتبسم في وجه أخيك منهياً عنه، وإنما المكر ومما ذكرناه في أول الباب من التملق والتصنع.

- وقال أيضاً: المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل.

- لكل شيء ديباج، وديباج القراء ترك الغيبة.

- ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.

- روى عن الفضيل بن عياض رحمة الله، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة فقال: الكامل من برّ والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسن خلقه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسن لسانه، ولزم بيته.

- وقال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري: دلّني على رجل أجلس إليه، قال: تلك ضالّة لا توجد.

- وكان يقول: خصلتان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل.

- اجتمع الفضيل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا، فافترقوا وهم مجتمعون على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب، والصبر عند الطمع.

- قال: وكان الفضيل بن عياض يقول في دعائه: اللهم أجعتني وأجعت عيالي وتركتنا في ظلم الليل بلا مصباح وإنما تفعل هذا بأوليائك فبأي منزلةٍ نلت هذا منك يا رب؟

- وكان الفضيل يقول: المال يسوّد غير السيّد ويقويّ غير الأيّد.

- من أكثر من قول الحمد لله كثر الداعي له، قيل: ومن أين قلت هذا؟ قال: لأن كل من يصلي يقول: سمع الله لمن حمده.

- قال الفضيل بن عياض لأصحابه: إذا قيل لأحدكم: أتخاف الله؟ فليسكت، فإنّه إذا قال: لا، جاء بأمرٍ عظيم، وإن قال: نعم، فالخائف على خلاف ما هو عليه.

- وقال: يا ربّ إنّي لأستحيي أن أقول: توكّلت عليك، لو توكّلت عليك لما خفت ولا رجوت غيرك.

- دعاك الله إلى دار السلام، وقد آثرت في دنياك المقام، وحذرك عدوك الشيطان، وأنت مؤالفه طول الزمان، وأمرك بخلاف هواك، وأنت معانيه صباحك ومساك، فهل الحمق إلا ما أنت فيه؟ .

- الدنيا دار المرضى، والناس فيها مرضى، وللمجانين في دار المرضى شيئان: غل وقيد. ولنا غل الهوى، وقيد المعصية.

- ومن كلامه رضي الله عنه أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم. وكان يقول من أحب أن يسمع كلامه إذا تكلم فليس بزاهد.

- وكان يقول: إذا اغتابك عدو فهو أنفع لك من الصديق فإنه كلما اغتابك كان لك حسناته.

- وكان رضي الله عنه يقول: سيد القبيلة في آخر الزمان منافقها، وهناك يحذر منهم لأنهم داء لا دواء له.

- فر من الناس غير تارك للجماعة.

- ليس هذا زمان فرح إنما هو زمان غموم.

- لكل شيء ديباجة وديباجة القراء ترك الغيبة، وكان يكره لقاء الإخوان مخافة التزين منه ومنهم.

- من فهم معنى القرآن استغنى عن كتابة الحديث، وكان رضي الله عنه يسقي على الدوام وينفق من ذلك على نفسه وعياله.

- إذ أحب عبداً أكثر غمه في الدنيا، وإذا أبغض عبداً وسع عليه دنياه، وكان يقول لو حلفت أني مراء كان أحب إلي من أن أحلف أني لست بمراء، وكان يقول: لا ينبغي لحامل القرآن أن يكون له حاجة عند أحد من الأمراء والأغنياء إنما ينبغي أن يكون حوائج الخلق إليه هو وكان رضي الله عنه يقول: تباعد من القراء جهدك فإنهم إن أحبوك مدحوك بما ليس فيك وإن غضبوا شهدوا عليك زوراً وقبل

ذلك منهم.

- وجلس إليه سفيان بن عيينة فقال له الفضيل: كنتم معاشر العلماء سراجاً للبلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوماً يهتدي بكم فصرتم حيرة أما يستحي أحدكم من الله إذا أتى إلى هؤلاء الأمراء وأخذ من مالهم وهو لا يعلم من أين أخذوه، ثم يسند بعد ذلك ظهره إلى محرابه ويقول: حدثني فلان عن فلان فطأطأ سفيان رأسه وقال: نستغفر الله ونتوب إليه.

- قراء الرحمن أصحاب خشوع وذبول وقراء الدنيا أصحاب عجب وتكبر وازدراء للعامة.

- الغيبة فاكهة القراء.

- واجتمع رضي الله عنه هو وشعيب بن حرب في الطواف فقال: يا شعيب إن كنت تظن أنه شهد الموقف والموسم من هو شر مني ومنك فبئس ما ظننت وكان رضي الله عنه يقول من طلب أخاً بلا غيب صار بلا أخ.

وكان يقول: لا تؤاخ من إذا غضب منك كذب عليك.

- قد بطلت الأخوة اليوم كان الرجل يحفظ أولاد أخيه من بعده ويعولهم حتى يبلغوا رشدهم كأنهم أولاده.

- ليس بأخيك من إذا منعته شيئاً طلبه غضب منك.

- كان لقمان قاضياً على بني إسرائيل مع كونه عبداً حبشياً لصدقه في الحديث وتركه ما لا يعنيه.

- وكان يقول طول الصراط خمسة عشر ألف فرسخ فانظر يا أخي أي رجل تكون.

- وسأله إسحاق بن إبراهيم أن يحدثه فقال له الفضيل رضي الله عنه: لو طلبت مني الدنانير لكان أيسر علي من الحديث ولو أنك يا مفتون عملت بما علمت لكان لك شغل عن سماع الحديث وكان رضي الله عنه يقول: من قرأ القرآن سئل يوم القيامة كما تسأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن تبليغ الرسالة فإنه وارثهم، وكان يقول عالم الآخرة علمه مستور وعالم الدنيا علمه منشور، فاتبعوا عالم الآخرة واحذروا عالم الدنيا أن تجالسوه فإنه يفتنكم بغروره وزخرفته ودعواه الحمل من غير عمل أو العمل من غير صدق.

وكان رضي الله عنه يقول: لو أن أهل العلم زهدوا في الدنيا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت الناس لهم ولكن بذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس ومن علامة الزهاد أن يفرحوا إذا وصفوا بالجهل عند الأمراء ومن داناهم وكان رضي الله عنه يقول: من عرف ما يدخل جوفه كان عند الله صديقاً، فانظر من أين يكون مطعمك يا مسكين.

- قال في قوله تعالي: {ﭧﭨﭩﭪﭫ} [الملك: ٢].

قال: أخلصه، وأصوبه، قيل: يا أبا علي! ما أخلصه، وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

- إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله.

- حيث ما كنت فكن ذَنَباً، ولا تكن رأساً؛ فإن الرأس تهلك، والذنب ينجو.

- كامل المروءة من بر والديه، وأصلح ماله، وأنفق من ماله، وحسن خلقه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته.

- ما أجد لذة، ولا راحة، ولا قرة عين إلا حين أخلو في بيتي.

- صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

- كفى بالله محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً، وكفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً.

- لا تستوحش طريق الهدى؛ لقلة أهله، ولا تغتر بكثرة الناس.

- إذا أتاك رجلٌ يشكو رجلاً، فقل: يا أخي اعف عنه؛ إن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله - عز وجل - فقل: فإن كنت تحسن تنتصر بمثل، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع؛ فإنه من عفى وأصلح فأجره على الله؛ فصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

- خصلتان تقسيان القلب: كثرة النوم، وكثرة الأكل.

- المؤمن يزرع نخلاً، ويخاف أن يثمر شوكاً، والمنافق يزرع شوكاً، ويطلب أن يثمر رطباً.

- نعمت الهدية الكلمة الطيبة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه.

- إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه، فيتكلف له، فيقطعه ذلك عنه.

- خوف العبد من الله على قدر معرفته به.

- من وقي خمساً وقي شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة.

- لأعلمنك كلمة هي خير لك من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره - لم تسأله شيئاً إلا أعطاك.

- ما أحب عبدٌ الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص، والعيوب؛ ليتميز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير.

- ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه.

- أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم.

- لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام، ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة.

- رب ضاحك، وأكفانه قد خرجت من عند القصار [1].

- من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

- لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال.

- بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

(1) القصار: المغسل.

- عاملوا الله - عز وجل - بالصدق في السر؛ فإن الرفيع من رفعه الله، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

- من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئاً؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب، وأيضاً فإنه خصك بالسؤال، ورجا فيك الخير دون غيرك.

- من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه، ويكره الذم بما فيه، ويبغض من يبصره بعيوبه، ويفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه.

- إن الله - عز وجل - ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.

- المؤمن يغبط، ولا يحسد، والمنافق يحسد، ولا يغبط.

- وقال الفضيل بن عياض: قال إبليس: يا رب، الخليقة تحبك وتبغضني، وتعصيك وتطيعني، فقال الله سبحانه: لأغفرن لهم طاعتهم إياك ببغضهم لك، ولأغفرن لهم معصيتهم إياي بحبهم لي [1].

* * *

(1) مصادر الترجمة: الجرح والتعديل 4 / 470، التاريخ الكبير: 7 / 123، التاريخ الصغير: 2 / 241، المعارف: 511، المعرفة والتاريخ للفسوي: 1 / 179، الجرح والتعديل: 7 / 73، طبقات الصوفية للسلمي:6 / 14، حلية الأولياء: 8 / 84، تاريخ ابن عساكر: 14 / 129 / أس، صفوة الصفوة: 2 / 134، التوابون: للمقدسي: 27، وفيات الأعيان: 4 / 47 - 50، تهذيب الكمال: 1104، تذهيب التهذيب: 3 / 141 / 2، تذكرة الحفاظ: 1 / 245، العبر: 1 / 298، ميزان الاعتدال: 3 / 361، روض الرياحين لليافعي:41، تهذيب التهذيب: 8 / 294، النجوم الزاهرة: 2 / 121، 143، البصائر والذخائر: 4 / 188، خلاصة تذهيب الكمال: 310، الجواهر المضية: 1 / 409، شذرات الذهب: 1 / 361.